جامعة البصرة
كلية الفنون الجميلة
قسم الفنون التشكيلية
الدراسات العليا
الماجستـــــير

اسم التدريسي : اسماء سمير
اللقب العلمي : أ.م .د
المادة الدراسية : الجماليات المعاصرة لفن الرسم
عدد الوحدات : (٢)
تسلسل المحاضرة الاولى ٣٠ / ٩ / ٢٠٢٤
عنوان المحاضرة : القراءة الفلسفية لمفهوم الاركيولوجيا في الفكر المعاصر

مقدمة في مفهوم الاركيولوجيا

ان الاركيولوجيا كمصطلح يتعلق بعلوم الاثار والتنقيب عن نتاجات الانسان وصولاً الى اوجه الشبه او الاختلاف بين الشعوب ، نجده قد ورد في الدراسات المعاصرة عندما استحضره المفكر الفرنسي (ميشيل فوكو [*] في مؤلفة – اركيولوجيا المعرفة) كأداة لقراءة وتحليل الخطابات المعرفية وشروط انتاجها ضمن حقبة زمنيةً ما ثم الكشف عن اوجه الشبه اوالاختلاف بين الحقب التاريخية ليضعنا امام سلاسل او قطائع معرفية فقد توصل فوكو في دراساته للتاريخ بأن الخطابات قد تتشابه وتستمر لتشكل سلسلة تاريخية او قد يصيبها التحول والانقلاب فتحدث فجوة او شرخاً مع السابق مؤسسةً لقطيعة معرفية .

استحضر فوكو بداية نشاطه الفلسفي المنهج الذي اطلق عليه المنهج الاركيولوجي ، وذلك في ستينيات القرن العشرين لتوصيف مقاربته المنهجية في كتابة التاريخ ومراجعة احداثه . من خلال تفحص (الاثار) التي يشكلها التاريخ بوصفها بنية فكرية وطريقة في التعبير عن الاشياء والعالم . فاالاركيولوجيا (Archéologie) كعلم يهتم بدراسة الاثار بمنهجية حفرية يعود اشتقاقه في اللغة اليونانية الى لفظة (آركية)(Archée)، او (ارخاريوس) الذي يعني (القديم). ودراسة الاثار القديمة تستلزم القيام بحفريات، من اجل إعادة تركيب وكتابة تاريخ الحضارات القديمة

لذا تقدم الاركيولوجيا فهماً اوسع تقطع الصلة مع ما يطرقه المنهج التاريخي من قراءة وترديد للتاريخ بل تنظر الي التاريخ بوصفة طريقة لفهم المناهج وما نحن عليه اليوم اي تطبيق المناهج والمعرفة المعاصرة في دراسة التاريخ . ويرى فوكو ان (الابستيمي –épistème) هو موضوع منهج الاركيولوجيا والابستيمي هو النظام المعرفي

[*]) م**يشال فوكو**(Michel Foucault : (١٩٢٦ – ١٩٨٤) من اهم الفلاسفة الفرنسيين المعاصرين اطلق عليه اسم (تاريخ نظام الفكر) . وقد كان لكتاباته أثر بالغ على المجال الثقافي، وتجاوز أثره ذلك حتى دخل ميادين العلوم الإنسانية والاجتماعية ومجالات مختلفة للبحث العلمي. عرف فوكو بدراساته النقدية لمجموعة من المؤسسات الاجتماعية، منها: المصحات النفسية، المشافي، السجون، الثكنات العسكرية وكذلك أعماله فيما يخص تاريخ الجنسانية فقد اشتهر بالعديد من اعمال الفكرية التي تتناول طبيعة الانسان المعاصر وحقيقة من جهة علاقته بالثقافة والسلطات المعارف التي تقرر كيفية وجوده في العالم. اذ حازت دراساته وأعماله في مجال السلطة والعلاقة بينها وبين المعرفة، إضافة إلى أفكاره عن (الخطاب) وعلاقته بتاريخ الفكر الغربي، اهتمامً واسعاً في الدراسات النقدية المعاصرة .

او الارضية المعرفية التي تقوم عليها معرفة ما ، بما يجعل من الاركيولوجيا مجالاً للحفر والتنقيب في طبقات الانظمة الثقافية لأجل كشف النظام المعرفي المتحكم . فمنهجية فوكو الفلسفية جاءت كنوع من :

- الادانة لفلسفات الذات وتراثها الانطولوجي ليضعنا امام استراتيجيات تفكيك وتقويض للميتافيزيقيا وذلك بعد ان ادرك تغلغل النظام الاخلاقي للميتافيزيقيا ضمن العلوم الانسانية والفلسفة ،
- ادانة سياسة البحث عن الاصول والذات المؤسِسة كأساس للمعرفة بما يرد الاعتبار للجهود الفكرية وما اغفله التاريخ فهي دعوة الفكر الغربي الى التفكير في ذاته بدأً مما يهمشه ليقطع الصلة بتمركزات الذات

ان ما تنشده المنهجية الحفرية تدور حول ما اقصاه الفكر الغربي ثم الاستراتيجيات الخفية التي تتحكم في انتاج نظم المعرفة والسياسة والمجتمع ، فالاركيولوجيا هي دراسة لأرشيف كل عصر من اجل الكشف عن المجال الابستمولوجي الذي يكمن خلف كل تجاربه ومعارفه ومناهجه ، وكأنما هو مجموع مقولاته الموضوعية ومبادئه . فالاركيولوجيا تفترض وجود وقائع مخفية مهمة الفيلسوف الكشف عنها ، والبحث في أصولها ومبادئها للوصل الى طبيعة بنيتها، فالاركيولوجيا هي دراسة البنية الضمنية للمعرفة والنظام المعرفي هو "الأرضية التي تقوم عليها معرفة عصر معين والتي تحدد خطابات هذا النظام واشكالاته ...وقد مارس ميشال فوكو هذا المنهج عل الحضارة الغربية، ففي كتابه "الكلمات والأشياء" قسم فوكو الفكر الغربي الى ثلاث حقبات تاريخية انطلاقا من شكل نظام معرفي خاص بكل حقبة .

لاركيولوجيا فوكو جذور تمتد في ما قدمه نيتشه الذي استدعى القراءة التاريخية للقيم واشكال تطورها وتحولاتها عبر العصور في مؤلفه (جينالوجيا الاخلاق) . لذلك يصعب حصر منهج فوكو الفلسفي بطريقة واحدة فهو يجمع بين الاركيولوجيا (علم الاثار) ويعنى بدراسة بنية معرفية، مجموعة من القواعد أو السوابق التاريخية والتي تشكلت الخطابات والمفاهيم بموجبها في فترة معينة . والجينيالوجيا (علم الأنساب) وتعنى بدراسة الممارسات والاستراتيجيات لتعديل هذه الهياكل المعرفية أي استراتيجيات تطورها . وهكذا وفقا لفوكو، فان الاركيولوجيا هي طريقة محددة لتحليل الخطابات المحلية ، في حين تتتبع الجينيالوجيا اليات صعود وتشكل معرفة ما دون غيرها . فالجينالوجيا ذلك الحقل المعرفي الذي يهتم يبحث بدقة (قواعد) واسس المعرفة والثقافة بوصفها ادوات السلطة التي تنتج قيم ومعان وتحدد طريقة وجودنا في العالم

أي ان فوكو يجمع بين الاركيولوجيا كحقل لدراسة بنية الخطاب والجينالوجيا كحقل لدراسة علاقات القوة التي تشكل خطاب ما وشبكة تطوراته وانتقالاته ، ففي ذلك الاجراء يميل فوكو إلى تطبيق منهجاً علمياً على تاريخ الأفكار . من خلال دراسة العلاقة بين السلطة والمعرفة ، مؤكداً على ان السلطة هي من تحدد المعرفة و أن اهمية التحليل التاريخي تكمن بالضبط في تسليط الضوء على الظروف التي أُنتجت من خلالها حقائق معينة والتي من خلالها ايضا تمارس هذه الحقائق آثارها في الواقع مستفيداً من جينالوجيا نيتشة الذي قدم قراءة فلسفية مغايرة في دراسته للاخلاق مخالفاً فلاسفة الأخلاق الكلاسيكيين و علماء النفس الإنجليز ممن حاولوا تفسير أصل الأخلاق، مع افتقارهم لأي روح تاريخية .

فنيتشه لم يبرر الأخلاق وما يجب ان تكون عليه وفقاً لثنائية الخير والشر وإنما حاول فهم تطورها التاريخي متطلباتها النفسية . لذا فإنه لا يسأل كيف يجب أن يتصرف الافراد ، وإنما لماذا يعتقد هؤلاء أن عليهم التصرف بطريقة ماا، أو لماذا يعتقدون أن على الآخرين التصرف بطريقة أو بأخرى . مما يعني انه لا وجود لمعيار او حقيقة ثابتة للاخلاق ومعاني الخير والشر كما حدده العقل الميتافيزيقي بل هي صناعة انسانية فبحسب جينالوجيا نيتشة ان ثنائية الخير والشر صنيعة الطبقات المتنفذة (النبلاء) عندما مجدوا أفعالهم واعتبروا أنفسهم وأفعالهم جيدة ، فمجدت المجتمعات القوة والسلطة والغزو واعتبرتهم خيرًا، حتى ظهرت ثورة أخلاق العبيد ليندرج المهمشين والفقراء تحت معنى الخير . كذلك اليهود تمكنوا من إحداث قلب كامل في التقييمات الأخلاقية، ليصبح الفقراء والضعفاء والمهمشين هم الأخيار، بينما الأقوياء والنبلاء هم الأشرار. قد كان اليهود والمسيحيون مضطهدين في الإمبراطورية الرومانية .ولمّا لم ينجحوا في الحصول على القوة المادية والغلبة ، فقد اعتبروا عجزهم فضيلة . وهكذا تعايش المضطهدون مع عجزهم بإقناع أنفسهم أن القوة المادية لا تستحق العناء على أي حال، بل إن القوة شر . من هنا نشأت أخلاق العبيد . وهكذا فان الجينالوجيا كعلم دراسة الانساب تاريخياً اتخذه نيتشة كمنهج لدراسة الأخلاق دراسة تاريخية وقراءة كيفية تشكل المفاهيم عبر التاريخ . واذا كانت جينالوجيا الانساب تتعرض لدراسة عائلة ما متجاهلة البقية فأن الجينالوجية النيتشوية تبحث في انساق كلية كأخلاق المسيحية واليهودية واخلاق العبيد .